

المبحث الثاني :

أهم أعمال (راند) الاستشرافية وخططها ودراساتها
المستقبلية

المبحث الثاني

أهم أعمال (راند) الاستشراقية، وخططها ودراساتها المستقبلية

تتنوع الأعمال التي تقوم بها مؤسسة (راند)، فهي تعقد المؤتمرات، والندوات، وملتقيات الحوار، وورش العمل، وتُقدّم (عروض الإحاطة) للمجالس والوزارات وغيرها، وتُقدّم استشاراتٍ للراغبين، وينشر باحثوها المقالات في الصحف والمجلات، وتُعقد معهم اللقاءات التلفازية والفضائية.

وسوف يركز هذا المبحث على التقارير والدراسات والكتب، ويُعنى بأهم ما صدر عن (راند) منها؛ لأنها هي أساس أعمالها، وأوسعها تفصيلاً.

المطلب الأول: (الأصولية الإسلامية في أفغانستان : طابعها وآفاقها):

(Islamic Fundamentalism in Afghanistan: Its Character and Prospects)

دراسة أعدها الدكتور (غراهام فولر Graham Fuller)، ونُشرت عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، وقد أُجريت لصالح وزارة الدفاع في الولايات المتحدة الأمريكية، وتقع في اثنتين وسبعين صفحة، وتحتوي على تمهيد، وموجز، وثمانية محاور.

ونُشرت (راند) أيضاً للمؤلف نفسه ثلاث دراسات أخرى مشابهة لهذه، تناول فيها تحليل (الأصولية الإسلامية) في باكستان، وفي بلدان الطبقة الشمالية: (تركيا، وإيران، وأفغانستان، وباكستان)، وفي الجزائر.

يشير المؤلف إلى غرض هذه الدراسات، وهو: "دراسة ظاهرة (الأصولية الإسلامية): أصولها، وأساسها التاريخي، وعلاقتها بالمؤسسات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، لكل بلد، وإلقاء الضوء على الطابع المحتمل لسياسات (الأصولية) في تلك البلدان... ودراسة الآثار المترتبة على السياسة الأمريكية، والخيارات الممكنة للولايات المتحدة في صياغة علاقتها مع تلك البلدان في المستقبل"^(١).

(١) Islamic Fundamentalism in Afghanistan: Its Character and Prospects, Graham E. (١)

Fuller, (Santa Monica ,Rand, 1991), P. iii.

يرى المؤلف في دراسة (الأصولية الإسلامية في أفغانستان) أن الإسلام كان عامل توحيد لجميع الأطراف الأفغانية على اختلاف أجناسها، وقبائلها، كما أن الجهاد وحّدهم في الوقوف صفًا ضد الاحتلال السوفييتي.

ويعني بـ(الأصولية) أربع جماعات من أصل سبعٍ رئيسة من المجاهدين الأفغان، وهي:

١-الحزب الإسلامي، بزعامة قلب الدين حكمتيار^(١).

٢-الحزب الإسلامي، بزعامة يونس خالص^(٢).

٣-الاتحاد الإسلامي، بزعامة عبد رب الرسول سياف^(٣).

٤-الجمعية الإسلامية، بزعامة برهان الدين رباني^(٤).

(١) من أبرز قيادات المجاهدين الأفغان، ولد عام ١٣٦٦هـ، من نسل أحد القبائل البشتونية، دَرَس الهندسة المدنية بجامعة كابول، وأسس الحزب الإسلامي في منفاه بباكستان عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، وعُيِّن مرتين رئيسًا للوزراء في أفغانستان خلال التسعينيات الميلادية. وقف ضد الحرب الأمريكية لأفغانستان، وما يزال يجاهد الاحتلال.

قاعدة بيانات الأسماء البارزة ؛ وموقع الموسوعة الحرة:

<http://www.nndb.com/people/920/000112584> ؛ <http://ar.wikipedia.org>

(٢) من أبرز قيادات المجاهدين الأفغان ضد الاتحاد السوفييتي والاحتلال الأمريكي، يحمل الدكتوراه في العلوم الإسلامية، توفي مريضًا عام ١٤٢٧هـ.

موقع صحيفة الشرق الأوسط، ع ١٠١٠٢، ٢٩/٦/١٤٢٧هـ ؛ وموقع الموسوعة الحرة:

<http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=9896&article=374987>

<http://ar.wikipedia.org>

(٣) من أبرز قيادات المجاهدين الأفغان، ولد عام ١٣٦٥هـ، وحصل على الماجستير في قسم الحديث في الأزهر، ودَرَس في كلية الشريعة بجامعة كابول، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٥هـ، ولما أنشئ الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان اختير سياف رئيسًا له. شارك في جهود السلام أثناء الاحتلال الأمريكي، وصار نائبًا في مجلس النواب في حكومة كرزاي.

الموسوعة العربية العالمية ١٣/٣٥٨-٣٥٩؛ وموقع الموسوعة الحرة: <http://ar.wikipedia.org>

(٤) من أبرز قيادات المجاهدين الأفغان، حصل على الماجستير في الأزهر، ودَرَس الشريعة الإسلامية في جامعة كابول، واختير رئيسًا للجمعية الإسلامية عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، وصار رئيسًا لأفغانستان قبل وصول طالبان إلى الحكم. شارك في جهود السلام أثناء الاحتلال الأمريكي، وقُتل في كابول عام ١٤٣٢هـ. موقع الجزيرة نت ؛ وموقع الموسوعة الحرة:

<http://www.aljazeera.net/coverage/pages/a386e4b9-c163-4354-9655-bf6ccac69a11>

<http://ar.wikipedia.org>

وعندما يتحدث عن (الأصولية الأفغانية) يرى أنها تتمتع بقاعدة قوية من الشرعية في السياسة الأفغانية، كما أن أفغانستان تتمتع بسلامتها من الاستعمار الذي طال معظم العالم الإسلامي، وهذا منحها التقدير والاحترام في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ويتناول المؤلف الحديث عن الوضع في أفغانستان بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي منه عام ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ويصف تنافس جماعات المجاهدين للوصول إلى السلطة في (كابول)، وكان صدور الدراسة قبل وصول أيٍّ منها، ويضع احتمالاته وترجيحاته. وأرجح الاحتمالات عنده أن (كابول) لن يحكمها إلا دولة إسلامية سنّية. ويشير إلى القلق الأمريكي تجاه (الأصولية)، وينصّ على أن قيام «مثل هذا النظام سوف يعارض المصالح الأمريكية في المنطقة، وربما يكون بمثابة قوة مزعزعة للاستقرار في المستقبل»^(١). ونصه:

"Concern for fundamentalism: The United States would clearly prefer not to have a hostile or ideological Islamic regime in power in Kabul, as such a regime would oppose U.S. interests in the region and possibly serve as a destabilizing force in the future".

ويقدم المؤلف توصيته: بأنه «لا ينبغي لكابول أن يحكمها اليسار المتطرف»^(٢)، ولا المسلمون (المتطرفون)، وفي حالة وصول أيٍّ من هذين الطرفين، فإن المنطقة ستحتاج لاحتواء المشكلة بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، أو بدونها»^(٣). ونصه:

" Ideally, then, the future rulers of Kabul should be neither radical left nor radical Islamist. If either of those extremes should emerge, the region will need to contain the problem-with or without U.S. help".

كما يرى أن من المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية -آنذاك- تشجيع ظهور (المعتدلين).

ومما يلحظ ويُفاد من هذه الدراسة التي رُفعت إلى وزارة الدفاع : أن غزو الولايات المتحدة الأمريكية أفغانستان عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، قد كانت أفكاره في أروقة وزارة دفاع الولايات

(١) Islamic Fundamentalism in Afghanistan. P. 32

(٢) أي الشيوعي. ينظر : موسوعة السياسة ٧/٤١٢.

(٣) Islamic Fundamentalism in Afghanistan. P. 33

المتحدة الأمريكية قبل وصول (طالبان) إلى حكم أفغانستان، وقبل أن تصبح القاعدة محل إزعاج للولايات المتحدة الأمريكية، وبالتحديد كانت قبل عشر سنوات من الغزو. وتكتسب الدراسة أهميتها من كون الذي أعدها قد غادر للتو منصب نائب رئيس مجلس الاستخبارات الوطني للولايات المتحدة الأمريكية، فانضم إلى (راند) عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ثم شرع في إعداد هذه الدراسة وشبهاتها؛ فهو خبير في السياسة الأمريكية عملياً، ويعرف ما تريده الولايات المتحدة الأمريكية وما لا تريده، فالسياسة الخارجية للولايات المتحدة لا تتغير من حزب إلى آخر.

المطلب الثاني: (إسلام حضاري ديمقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات):

(Civil Democratic Islam: Partners, Resources, and Strategies)

تقرير أعدته الدكتور (شيريل بينارد) أثناء عملها في فرع (راند) بدولة قطر، ونشر عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ويقع الأصل الإنجليزي في ثمان وثمانين صفحة، وله ترجمة باللغة العربية في موقع (راند)، وهي ترجمة ضعيفة، فيها أخطاء في الترجمة وفي اللغة، ولا ترقى إلى مستوى مؤسسة (راند)^(١)؛ وله ترجمة أخرى قام بها أحد المواقع الإلكترونية، بعنوان: (الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والمصادر والاستراتيجيات).

أعدَّ هذا التقرير بدعم من مؤسسة (سميث ريتشاردسون)

(The Smith Richardson Foundation).

وقد قام الباحث صالح بن عبد الله الغامدي بدراسة هذا التقرير في رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، بعنوان: (تقرير مؤسسة (راند): "إسلام حضاري ديمقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات": دراسة تحليلية)، ونوقشت الرسالة عام ١٤٣١هـ.

وعنوان تقرير (بينارد) يدل على مضمونه بدقة متناهية، فهي لا تريد الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ، بل تريد للعالم الإسلامي إسلاماً يُغير من ثوابته ليتطور مع تطور الحضارة؛ ولتغييره لا بد من شركاء للغرب من المسلمين يقومون به، ولضمان نجاحهم لا بد من إمدادهم بالموارد، وتأطير ذلك في خطة استراتيجية تضمن أداء المهمة. هذه خلاصة الخلاصة لهذا التقرير.

يتكون التقرير من تمهيد، وملخص، وثلاثة فصول، وأربعة ملاحق تتعلق ببعض قضايا

التقرير:

التمهيد:

(١) مثال من أمثلة عديدة على ضعف الترجمة: ترجموا (Algerian Islamic Salvation Front) بـ(جبهة

الخلاص الإسلامي الجزائرية)، والصواب: (الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر). ينظر: الأصل P. 28؛

والمترجم ص ٤١.

يصف العالم الإسلامي اليوم، وأنه يشهد صراعاً يهدف إلى تحديد قيمه وهويته ومكانته في العالم، وتتنافس المجموعات فيه لإحكام سيطرتها الدينية والفكرية والسياسية، ويكُون هذا الصراع تهديداً للعالم: اقتصادياً واجتماعياً وأمنياً. وأن الغرب يُفضل عالماً إسلامياً يتماشى مع النظم العالمية، ويتبع قوانين وأحكام السلوكيات الدولية. وأنه من الحكمة تشجيع العناصر التي تتماشى مع المجتمع الدولي وتتقبل الديمقراطية والتمدن.

وتتطلب معالجة هذا الصراع إدراك دقائق الصراع الفكري في العالم الإسلامي؛ لتحديد الشركاء المناسبين للغرب، والأهداف والوسائل.

جاء الفصل الأول بعنوان : تحديد الموضوعات: مدخل إلى المجالات الفكرية للإسلام المعاصر:

ترى الباحثة أن أزمة الإسلام الحالية انعكاس عن سببين:

الأول-إخفاق الازدهار، سواء كان عبر القومية العربية، أم الاشتراكية، أم الثورة الإسلامية؛ مما ولّد لدى الشباب المسلم الشعور بالكبت والغضب.

الثاني-فقدُ الارتباط بالتوجهات العالمية، فابتعد الفكر في العالم الإسلامي عن الثقافة العالمية.

وإخفاق الازدهار وفقدان الارتباط أحدث لدى المسلمين اختلافاً في رؤيتهم لأسباب ذلك، وفي نظرتهم للحل؛ فبرزت أربعة مواقف مختلفة، تمثلها (الأصوليون)، و(التقليديون)، والعصرانيون، والعلمانيون:

١-الأصوليون: يسعون لتعزيز وحدة الأمة الإسلامية، ويقدمون نظرة توسعية للإسلام، ولا يستبعدون استخدام (العنف). وأكثرهم لا يتقبل الإرهاب، إلا أن منهجهم بشكل عام لا يتماشى مع الرؤية الغربية للحضارة والنظام السياسي والمجتمع. وأمثلتهم: السعودية، وإيران، و(طالبان).

٢- التقليديون، وينقسمون إلى قسمين:

أ- المحافظون: يتبعون الشريعة الإسلامية ويحافظون عليها بصرامة، ولا يميلون إلى العنف ولا الإرهاب. ويتقبلون الظروف السياسية بتقلباتها، حتى ولو كانت الحكومة غير إسلامية.

ب- الإصلاحيون: يقبلون بعض التنازلات في التطبيق الصارم للدين، ولديهم استعداد للنقاش حول الإصلاحات وإعادة التأويل.

٣-العصرانيون (The Modernists)^(١): يرون بأن الإسلام ينبغي أن يتطور ويتوافق مع عصره، وأن التغييرات التي تُدخل عليه سوف تقوّيه.

٤-العلمانيون: يرون فصل الدين عن السياسة والدولة، دون تدخل طرف بالآخر. ويعرض الفصل جملة من الموضوعات التي تناقشها القوى المتعارضة، وتستخدمها للإشارة إلى نفوذها. وتقارن الباحثة بين وجهات نظر الفئات الأربع، في الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والحريات الفردية، وتعدد الزوجات، والحدود والتعزير، وغيرها.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: خيارات البحث عن شركاء لتعزيز الإسلام الديمقراطي: يحدد هذا الفصل الفئات التي يمكن للغرب أن يعتمد عليها في تغيير الإسلام إلى الصورة المنشودة لدى الباحثة.

فهي ترى : بما أن الديمقراطية الغربية تقوم على الفصل بين الدين والدولة؛ فإن العلمانيين حلفاء طبعيون للغرب في العالم الإسلامي.

أما (الأصوليون المتطرفون)، وأمثلتهم: (طالبان والقاعدة)، فإنهم معادون للديمقراطية الحديثة والقيم الغربية بعامّة، ولم يبق للغرب بعد أحداث ١١/سبتمبر إبداء أي تساهل تجاههم، فمجاملتهم لا تُعدُّ في الزمن الحالي خياراً ممكناً.

(١) في ترجمة (راند): (المجددون)، وهو وصف لا ينطبق عليهم ألبتة، وإنما هم العصرانيون بحسب الترجمة الصحيحة، وهم ما اصطلح على تسميتهم أيضاً بالتنويريين، أو العقلانيين، وهم أبعد ما يكونون عن مصطلح (المجددين) في الشريعة الإسلامية.

لكن (الأصوليين) غير المتطرفين، وأمثلتهم: (السعودية وإيران)، فلا تزال العداوة معهم معلقة، ويظل التحالف معهم حالات خاصة تملئها اعتبارات تكتيكية أو استراتيجية، ولا يمثل التحالف معهم مصادقة على نظامهم أو أسلوب حياتهم أو عقيدتهم .

ويتسم التقليديون بعدة مزايا تجعلهم شركاء محتملين للغرب، فهم يتمتعون بشعبية واسعة النطاق، تُكوّن قوة موازنة (للأصوليين)؛ وهم يميلون للاعتدال؛ ويتقبلون حوار الأديان؛ ولا يدافعون عن العنف. فهم المختارون ليكونوا عملاء أوليين، يعززون إسلامًا ديمقراطيًا.

والعصرانيون: تتطابق رؤيتهم مع رؤية الغرب، فقد نجحوا في التكيف مع الغرب؛ مما أدى إلى ابتعادهم عن العقيدة الأصلية وتغييرها والتخلي عن أجزاء منها بشكل انتقائي^(١). وهم الوسيلة الأكثر مصداقية لتطوير الإسلام الديمقراطي ونشره في بلاد المسلمين، لكن تُواجههم جملة من المعوقات، من أكبرها المعوق المالي، وثانيها سياسي، حيث قد يتعرضون للمحاكمة بسبب آرائهم، وقد يُحكم عليهم بالردة.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: الاستراتيجية المقترحة:

من أجل تقوية ورعاية تطوير إسلام حضاري ديمقراطي، توصي الباحثة الولايات المتحدة الأمريكية باستراتيجية، ملخصها ما يلي:

١- دعم العصرانيين والعلمانيين.

٢- تشجيع المؤسسات والبرامج المدنية والثقافية العلمانية.

٣- دعم التقليديين للمحافظة على قوتهم في مواجهة (الأصوليين).

٤- تعزيز مكانة الحركة الصوفية.

٥- ضرب مواطن الضعف لدى (الأصوليين)، وفضحهم، وكسر احتكارهم تفسير

الإسلام.

(١) ونصه الأصلي: "Modernism, not traditionalism, is what worked for the West. This included the necessity to depart from, modify, and selectively ignore elements of the original religious doctrine". P. 37.

إنّ تقرير (إسلام حضاري ديمقراطي) - في رأي الباحث - قد أثّر في توجيه الرأي داخل (راند) لصالح ما جاء فيه من الاستراتيجيات؛ لذلك تجد تأثيره المحوري في الدراسات والتقارير المهمة التي صدرت بعده^(١). وسيناقش الباحث أبرز أفكار هذا التقرير في الفصل الثاني، والثالث، والرابع، من هذه الرسالة.

(١) ينظر تنصيب الدراسات التاليتين بالاعتماد على هذا التقرير:

The Muslim World after 9/11. P. iv.

Building Moderate Muslim Networks, Angel Rabasa & Others, (Santa Monica, Rand, 2007).P. iv.

المطلب الثالث: (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) :

(The Muslim World after 9/11)

دراسة أجريت لصالح القوات الجوية للولايات المتحدة الأمريكية (The United States Air Force)، ونشرت عام ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م، وتقع في ٥٦٧ صفحة، كتبها ثمانية من خبراء (راند)، وهم: (أنجل راباسا، وشيريل بينارد، وبيتر تشوك، وكريستين فير، وثيودور كاراسك، ورولي لال، وإيان ليستر، وديفيد تالر).

أهداف الدراسة:

- ١- تصنيف الاتجاهات الفكرية والعقدية في مختلف مناطق العالم الإسلامي؛ لتحديد القطاعات التي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية إيجاد أرضية مشتركة معها لتعزيز الديمقراطية والاستقرار، ومواجهة تأثير مجموعات (التطرف والعنف).
- ٢- تحديد العوامل التي تنتج (التطرف الديني والعنف).
- ٣- تحديد خطوط التصدع والانشقاقات الطائفية، والعرقية، والإقليمية، والوطنية؛ وكيف تولد هذه الانشقاقات التحديات والفرص للولايات المتحدة الأمريكية.
- ٤- استخلاص استراتيجيات ومجموعة من الخيارات السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية؛ لمواجهة التحديات واستغلال الفرص.

محتويات الدراسة:

تحتوي الدراسة على تمهيد، وموجز، ومقدمة مطوّلة، وعشرة فصول، وكل فصل منها يختتم باستنتاجات وتوصيات تحدد الاستراتيجيات الممكنة والخيارات السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية في العالم الإسلامي. قام بكل فصل مؤلف من أولئك المؤلفين، واشترك اثنان في إعداد بعض الفصول. وحمل عنوان كل فصل اسم دولة إسلامية أو منطقة، سوى الفصل الأخير، فقد تناول الجالية المسلمة في بلاد المهجر. وتناولت الفصول: الشرق الأوسط، والمغرب العربي، وتركيا، وإيران، وباكستان، والهند، ووسط آسيا، وجنوب شرق آسيا، ونيجيريا، والمسلمين المهاجرين.

ولا يوجد في نهاية الدراسة توصيات ختامية كما في أكثر بحوث (راند)، بل اكتفوا بمقترحات كل فصل.

وفيما يلي موجز شامل لأهم محتويات المقدمة وفصول الدراسة:

تشير الدراسة إلى أن الأحداث التي وقعت خلال السنوات الثلاث بعد هجمات ١١/ سبتمبر، من الحرب العالمية على (الإرهاب)، وحرب العراق، وتدايعاتها، قد أثرت بشكل كبير في العالم الإسلامي، من حيث الموقف من الولايات المتحدة الأمريكية. كذلك التغييرات التي طرأت داخل الدول الإسلامية، وبخاصة التأثير الديني على السياسة؛ نتيجة للاتجاهات التي كانت تعمل لعدة عقود؛ مما سيجعل إدارة البيئة الأمنية أكثر صعوبة في السنوات المقبلة؛ وهذا يزيد من المطالب السياسية والعسكرية على الولايات المتحدة الأمريكية. لذلك فإن وضع استراتيجية تجاه العالم الإسلامي من شأنه أن يساعد في تحسين الأوضاع التي تنتج (التطرف الديني) والسياسي المناهض للولايات المتحدة الأمريكية.

وسعت الدراسة إلى وضع تصنيف للاختلافات الفكرية والتوجهات في مختلف مناطق العالم الإسلامي، من حيث الانتماء الديني والطائفي، ومدى الالتزام به أو البعد عنه، بما في ذلك السنة منهم والشيعة، وغيرهم، والعرب، وغير العرب، ومن حيث انخراطهم في المجالات السياسية، وميولهم الاجتماعية، وتصوراتهم للحكومة، والقانون، والميل إلى العنف، وموقفهم من حقوق الإنسان، وبخاصة حقوق المرأة؛ لذا حوت الدراسة حشدًا من الدعوات، والمؤسسات الإسلامية، والجماعات، والجمعيات، والفرق، والمذاهب الفكرية، على طول امتداد العالم الإسلامي، مع بيان علاقة هؤلاء بالحكام والقضايا السياسية وبالمجتمع.

وتشير الدراسة إلى أن هذا التصنيف للاتجاهات الرئيسة في العالم الإسلامي يسمح للولايات المتحدة الأمريكية بطريقة منهجية بإيجاد حلفاء يعملون من خلال أرضية مشتركة لتعزيز الديمقراطية والاستقرار ومواجهة تأثير العنف والجماعات المتطرفة.

وتناقش الدراسة مسألة إشراك الإسلاميين في العملية الديمقراطية، وتتوصل إلى إمكانية السماح بإشراكهم، لكن وفق شروط مسبقة.

وتتلمس الدراسة أوجه الاستفادة من الجالية المسلمة المهاجرة، ومن ذلك إمكانية تسخيرها لتعزيز الديمقراطية والتعددية في العالم الإسلامي. وتتطرق إلى المؤسسات العسكرية في العالم الإسلامي، وأهميتها في بعض البلدان بالمحافظة والإبقاء على علمانية المؤسسات السياسية، مما يجعل العلاقة بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية مهمة.

أبرز مقترحات الدراسة:

تؤكد الدراسة في مقترحات فصولها على أهمية تكوين (شبكات من المسلمين المعتدلين) ودعمها، وبالمقابل تعطيل الشبكات المعادية للولايات المتحدة الأمريكية، وتدعو الدراسة إلى (إصلاح) المدارس الإسلامية وبخاصة في باكستان وجنوب شرق آسيا، وتوسيع الفرص الاقتصادية للشباب، وأن تقوم أمريكا بالضغط على الحكومات، لفتح الفضاء العام، وتطوير نظام يحمي الحريات الأساسية، والتشجيع على قيام مجتمع مدني، والشروع في الإصلاحات التي تعود بالنفع للإسلاميين والعلمانيين على حد سواء.

كما تؤكد على أن الإصلاح في الشرق الأوسط سيبقى على المدى الطويل الهدف الاستراتيجي للولايات المتحدة، وأن العراق هو المحور لجهود الإصلاح في الشرق الأوسط، والنجاح فيه يؤدي إلى المزيد من الإصلاح في جميع أنحاء المنطقة، وسواء تعذر الإصلاح في العراق أم تحقق فإنه في الشرق الأوسط ماضٍ.

وأنه ينبغي -في حالة المغرب- التنبه إلى صياغة الدساتير والقوانين الانتخابية، وإيجاد ديمقراطية علمانية أساساً لمؤسسات الحكم.

وتذكر الدراسة أن ميزة حزب العدالة والتنمية التركي: قدرته على استيعاب مزيد من التدين في الحياة السياسية مع الحفاظ على علمانية الدولة، تجعله نموذجاً يمكن استخدامه عند اللزوم في الشرق الأوسط، وإن قلّت جاذبيته لدى العرب.

وفي الشأن الإيراني يمكن استخدام عدد من الوسائل غير المباشرة في العمل من الداخل لزعزعة استقرار النظام.

وينبغي التصدي - في حالة جنوب شرق آسيا - للتحدي المتمثل في (الإسلام السياسي)، وعدم استغلال الدين في جدول الأعمال السياسية.

وبوجه عام: على الولايات المتحدة الأمريكية أن توضح للمسلمين أن ما تقوم به هو الحرب على الإرهاب، وليست حرباً على الإسلام.

لقد أصبحت هذه الدراسة مرجعاً مهماً ورئيساً لأهم الدراسات التي صدرت بعدها^(١)، وموردًا لباحثي (راند) يعودون إليه في بحوثهم.

وسوف تُعنى جل مباحث الرسالة بعرض أهم محتويات هذه الدراسة، وتحليلها ونقدها.

(١) ينظر تنقيص الدراستين التاليتين بالاعتماد عليها:

Building Moderate Muslim Networks. P. iv.

The Rise of Political Islam in Turkey .Angel Rabasa & F. Stephen Larrabee.

(Santa Monica ,Rand, 2008), P. iv.

المطلب الرابع : (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين)^(١):

(Building Moderate Muslim Networks)

صدر هذا التقرير عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، ويقع في ٢١٧ صفحة، ألفه أربعة من خبراء (راند)، وهم: (أنجل راباسا، وشيريل بينارد، ولويل شوارتز، وبيتر سكيل). بدعم مؤسسة (سميث ريتشاردسون) (The Smith Richardson Foundation).

وله ملخص منشور باللغة العربية في موقع (راند)، وتناقلت بعض المواقع العربية عام ١٤٣١ هـ ترجمة لكامل الدراسة، بدون اسم مترجم.

وهو من أخطر تقارير (راند) على الإطلاق، استغرق العمل فيه ثلاث سنوات، جرى خلالها لقاءات موسعة مع خبراء ومسؤولين وإعلاميين في أمريكا، وأوروبا، والعالم الإسلامي. يشير التقرير إلى أن مشروع (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين) هو قائم بالفعل منذ عقود، ولكن هدف التقرير أن يكون هذا المشروع هو الهدف الرئيس لبرنامج حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

ويُقدّم التقرير توصيات عملية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية بأن تواجه النمو الإسلامي بالأساليب والدروس المستخلصة من الحرب الباردة ضد المد الشيوعي. يحتوي التقرير على تمهيد، وملخص، وعشرة فصول:

الفصل الأول: مقدمة لبقية الفصول، تصف واقع العالم الإسلامي، وتشير إلى قوة الإسلاميين بامتلاكهم وسائل التأثير في المجتمع، وبخاصة حسن التنظيم، واستخدامهم المساجد، وتوظيفهم الأموال؛ وتشير بالمقابل إلى تهميش العلمانيين في الدول الإسلامية وضعفهم في استخدام الوسائل المؤثرة، وتبيّن مدى معاناتهم من أحكام الارتداد عن الدين؛ وتبيّن الطرق والوسائل الكفيلة بقلب الحال لصالح العلمانيين.

الفصل الثاني: دروس الحرب الباردة:

(١) هذه الترجمة للعنوان هي الترجمة الواردة في ملخص التقرير المنشور باللغة العربية على موقع (راند).

يبين الفصل كيف تحولت المواجهة مع الاتحاد السوفييتي إلى مواجهة فكرية بالدرجة الأولى، وكيف تحقق الانتصار الفكري خلالها، والوسائل والأساليب التي استُخدمت، وجهود الولايات المتحدة الأمريكية في إيجاد شبكات معادية للشيوعية .

الفصل الثالث: أوجه الشبه بين الحرب الباردة والتحديات التي تواجه العالم الإسلامي اليوم:
يحدد الفصل ثلاثة أوجه للشبه :

- ١- أن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه بيئة سياسية جغرافية تُكوّن خطراً على أمنها، وتمثل في الجانب الإسلامي في الحركات الجهادية.
- ٢- أن الولايات المتحدة الأمريكية أنشأت أجهزة إدارية كبيرة لمواجهة العالم الإسلامي، كما أنشأتها في بداية الحرب الباردة.
- ٣- كما كان الصراع الفكري هو طبيعة الحرب الباردة، فإنه في مواجهة العالم الإسلامي كذلك بالدرجة الأولى، وليس عسكرياً أو غيره.

الفصل الرابع: جهود الولايات المتحدة الأمريكية لوقف (المد المتطرف Radical Tide):

يتحدث الفصل عن جهود الولايات المتحدة في دعم نشر التحرر والديمقراطية في العالم الإسلامي، وما الناجح منها، وما المشكل في بعضها. ويتحدث عن استخدام مشاريع التعليم فيما يخدم المصالح الأمريكية. ويبحث على دعم العلمانيين للقيام بالأعمال الخيرية؛ لمنافسة ما تقوم به الجمعيات الخيرية الإسلامية.

ويشير إلى أحد الأسباب التي تجعل التأثير الفكري صعباً في الخليج، وهو: أن الخليج لا يتلقى مساعدات مالية من الخارج، ويضع الفصل بعض المقترحات البديلة.

الفصل الخامس : خارطة طريق لبناء شبكات من المسلمين المعتدلين:

يدعو الفصل إلى تكوين شبكة من (المسلمين المعتدلين)، والقيام بدعمهم بشتى أنواع الدعم؛ حتى يؤدوا رسالتهم التغريبية، ويواجهوا أصحاب التوجهات الإسلامية. والشروط المطلوبة في الشخص حتى يكون (معتدلاً) هي:

- ١- القبول بالديمقراطية.
- ٢- القبول بمصادر غير مذهبية في تشريع القوانين.

٣- احترام حقوق النساء، والأقليات الدينية^(١).

٤- نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع.

ويوصي التقرير في هذا الفصل بالتعاون مع ثلاث فئات باعتبارهم (معتدلين)، وهم: العلمانيون، و(الليبراليون)، والتقليديون (المعتدلون) ومنهم الصوفية.

الفصل السادس: الركن الأوروبي في الشبكة:

يتحدث عن ملايين المسلمين من سكان أوروبا، وأنواعهم من حيث تمسكهم بالإسلام؛ وأن أخطر أنواعهم السلفيون، الذين يعتزون بالإسلام بأكمله، ويحاولون تطبيق كافة أحكامه؛ ويُحذّر التقرير أوروبا من دعمهم، وبالمقابل يحثها على دعم (المعتدلين).

الفصل السابع: ركن جنوب شرق آسيا في الشبكة:

يتحدث عن (الاعتدال) في إندونيسيا، ويوصي بدعم المؤسسات العلمانية، والإسلامية (المعتدلة) من جامعات وجمعيات. ويتحدث عن أثر الإعلام والمؤسسات الديمقراطية في جنوب شرق آسيا، وإمكاناتها في بناء الشبكة.

الفصل الثامن: عنصر الشرق الأوسط:

يبدأ بذكر العائق الرئيس أمام بناء شبكات من (المعتدلين) في الشرق الأوسط، وهو: عدم وجود حركة تحررية علمانية واسعة القبول، وإنما يوجد أفراد ومجموعات صغيرة متفرقة. ويشير الفصل إلى عدد من مشروعات دعم التوجهات الديمقراطية في المنطقة العربية، ورعاية بعض المؤسسات الغربية لها.

الفصل التاسع: (المسلمون العلمانيون) : البُعد المهمل في حرب الأفكار:

(١) الأقلية هي: "الجماعة التي تعيش داخل المجتمع الإسلامي على سبيل الاستقرار (الدوام)، ولها حكم شرعي مختلف عن أحكام الجماعة المسلمة؛ أو التي فارقت الجماعة المسلمة بتأويل ديني لا يسوغ".
الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية: من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، د. كمال السعيد حبيب، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م)، ص ٥٦.

يؤكد الفصل على أهمية التعاون مع المؤسسات العلمانية وقياداتها، في جميع مناطق العالم الإسلامي، وخارجه، لمشروع (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين).
ويقدم الفصل نماذج من الشخصيات الفكرية العلمانية، وأهم أفكارها، وكيفية الاستثمار.
الفصل العاشر: الاستنتاجات والتوصيات:

يدعو الفصل إلى إيجاد سبل كفيلة بالحفاظ على مصداقية المجموعات التي تحصل على الدعم المالي والإداري من الولايات المتحدة الأمريكية، أو غيرها من الهيئات الدولية.
ويوضح كيف تنمر بعض هذه السبل في تحويل جماعات متفرقة من الأفراد إلى شبكات دولية قوية بدعم مالي وتنظيمي محدود من الولايات المتحدة الأمريكية؛ حتى يتم إنشاء منظمة دائمة متعددة الجنسيات، قادرة على العمل بخلفية ثقافية للتجديد (الديمقراطي) في العالم الإسلامي.

ويبحث الفصل بالتركيز في العمل على المناطق ذات الاحتمالية الأكبر لتحقيق النجاح.
ويكون التركيز في غيرها على الحفاظ على المكاسب، وتحين الفرص.
ويوصي بإنشاء مؤسسة مختصة داخل الولايات المتحدة الأمريكية للقيام بجهود الإرشاد، والدعم، والإشراف، والمراقبة المستمرة، لجهود (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين).
وسوف يتناول الفصل الرابع من هذه الرسالة فحص هذا التقرير بالتفصيل.
ويستحق التقرير أن يفرد بدراسة علمية مستقلة.